الباب الرابع

التبشير في العالم الإسلامي

* أهداف التبشير في العالم الإسلامي

* وسائل التبشير في العالم الإسلامي

الفصل التاسع

أهداف التبشير في العالم الإسلامي

الاعتراف سيد الأدلة.. ما في ذلك شك.

وهنا تسعفنا اعترافات أهل التبشير المسيحي – من مخططين ومنفذين- لتحديد أهداف عملهم في العالم الإسلامي. فلنعرض مقالاتهم ولنستمع إليهم، وحسبنا ذلك في هذا الباب بالذات – التبشير في العالم الإسلامي- من أبواب هذا الكتاب.

يقول المؤرخ جان دي جوانفيل – الذي رافق الملك لويس التاسع ملك فرنسا في حملته الصليبية – سابعة الحملات-: «إن خلوته في معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة ليفكر بعمق في السياسة التي كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين. وقد انتهى به التفكير إلى تلك الآراء والمآخذ التي أفضى بها لأعوانه المخلصين، أثناء رحلته إلى عكا مقلعا إليها من دمياط».

وكان ما انتهى إليه لويس التاسع: إنه لم يعد في وسع الكنيسة أو فرنسا مواجهة الإسلام، وإن هذا العبء لابد أن تقوم به أوروبا كلها لتضيق الخناق على الإسلام ثم تقضي عليه، ويتم لها التخلص من الحائل الذي يحول دون تملكها لآسيا وأفريقيا.

ويقول المؤرخ رينيه جروسيه: «إن الملك لويس التاسع كان بذلك في مقدمة كبار ساسة الغرب الذين وضعوا للغرب الخطوط الرئيسية لسياسة جديدة شملت مستقبل آسيا وأفريقيا بأسرهما».

وهكذا رسم لويس التاسع التخطيط المبدئي للسياسة التي رأى أنها تمكنه من مواجهة الإسلام والنيل من قوته. وكان من بينها:

«تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية، تستهدف الغرض نفسه، لا فرق بين النوعين إلا من حيث نوع السلاح المستخدم في المعركة، وتجنيد المبشرين

الغربيين في هذه المعركة السلمية لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنويا، واعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعارك جنودا للغرب»[١]

ويقول القس اليسوعي ميز في معرض حديثه عن سياسة فرنسا الدينية في الشرق:

«**إن الحرب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن التاسع عشر، لا تزال مستمرة إلى أيامنا هذه**... ولقد احتفظت فرنسا طويلا بروح الحروب الصليبية، وبالحنين إلى تلك الحروب حية في نفسها.. **وكان من غايات الامتيازات الأجنبية دائما أن تحتفظ (فرنسا) بالدور الذي يلعبه رهبانها.** وقد اعترف لقناصلنا وسفرائنا بالحماية للنصارى.. وكثيرا ما اختارت فرنسا قناصلها وسفراءها من رجال الدين»[٢]

ويقول اليسوعيون في عرض نشاطهم التبشيري في الشام:

«**ألم نكن نحن ورثة الصليبيين**.. أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيري والتمدين المسيحي، ولنعيد في ظل العلم الفرنسي وباسم الكنيسة مملكة المسيح»[٣]
المسيح»[٣]

«وفي خريف عام ١٨١٨ تأسست في الولايات المتحدة جمعية تبشيرية للعمل في فلسطين تستند إلى الجهود الأمريكية.. لقد كان في المركز الجغرافي العسكري للشرق الأدنى ولمنطقة البحر المتوسط عنصر إغراء كبير حمل الأمريكيين على إقامة جمعية للتبشير هناك. إن

---

(١) حقائق عن التبشير: عماد شرف – المختار الإسلامي- القاهرة ص ٩، ١٠

(٢) التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة- المكتبة العصرية- بيروت ص ١٢٧

(٣) التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ص ١١٥

البحر المتوسط كان الطريق المؤدي إلى أقسام واسعة من العالم لم يكن التبشير قد بدأ فيها بعد، كما كان بابا إلى آسيا وأفريقيا..

وكان الهدف الرئيسي للتبشير في فلسطين هو تبديل عقائد شعوب الشرق الأدنى وتبديل أنماط حياتهم. وقد وضعت خطط مختلفة للوصول إلى نفوس النصارى ونفوس المسلمين ونفوس اليهود في هذه البقعة من الأرض.. ثم إن القاهرة والإسكندرية مكانان مهمان، فإن المبشرين يستطيعون أن يستقروا في أي منهما شاءوا بأمان، فيصنعوا ترجمة عربية صحيحة للكتاب المقدس..

وبالإمكان أن تكون الكنيسة الأرمنية وسيلة مهمة لتنصير غربي آسيا.. وبالتقدم منها إلى إيران والعراق وسوريا وفلسطين وآسيا الصغرى. **وهكذا تستطيع الكنيسة المسيحية: بلا حرب صليبية، أن تسترد تلك المناطق التي خسرتها منذ أزمان طوال»**[1]

ويقول ستيفن نيل: «بدأت الإرسالية الإنجليكانية للعمل بين اليهود بالاستقرار في القدس في عام ١٨٢٠، ثم جعلت تقوم منذ عام ١٨٢٤ بشيء يسير من العناية الطبية..

وفي عام ١٨٥١ شاركت جمعية الإرسالية التبشيرية في هذا العمل الذي أدى إلى أغرب الأحداث في تاريخ الكنيسة الحديث. لقد اتفقت السلطات البريطانية والبروسية على تأسيس أسقفية مشتركة في مدينة القدس، يشرف عليها أسقف مرسوم على المذهب الإنجليكاني، ولكن تعيينه يجري بالتناوب بين ملك إنجلترا وملك بروسيا.

لقد كان وراء هذا العمل عوامل سياسية، كما كانت فيه عوامل دينية أيضا»[2]

---

(١) التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة – المكتبة العصرية- بيروت ص ٢٦٠

(2) STEPHEN NEIL: A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1964 ص ٣٠٤

وفي عام ١٩٢٠ أصدرت لجنة التبشير الأمريكي – التي تهتم بالاستفادة من الحروب في أعمال التبشير – كتابا جاء في مقدمته: «من أبرز الأمور المتعلقة بدخول الولايات المتحدة في الحرب العالمية (الأولى) أن الآراء والمبادئ التي كانت تهدف إليها الإرساليات التبشيرية، قد تبنتها الآن الأمة (الأمريكية)، ثم أعلنت أنها هي أهدافها الأخلاقية وغاياتها من خوض تلك الحرب. **إن هذه المبادئ التبشيرية قد سميت الآن أسماء سياسية فقط**»[1]

من الواضح – إذن- أن التبشير المسيحي في العالم الإسلامي هو في حقيقته حرب صليبية، وهو امتداد **لتلك الحروب الصليبية الصاخبة** التي بدأها الغرب المسيحي منذ تسعة قرون، والتي فشلت في تحقيق أهدافها ثم تعرضت للإدانة الشديدة من قبل الكثير من المسيحيين؛ من مؤرخين ومبشرين وفلاسفة ومفكرين.

إن الحرب – في أحد تعاريفها التقليدية- تعني صراعا مسلحا بين قوتين أو أكثر، يقاتل فيها كل طرف من أجل كسر شوكة عدوه وتحطيمه، وبالتالي تحقيق السيطرة والسيادة للطرف المنتصر، بغية التحكم في مقدرات الطرف المهزوم وإمكاناته.

ونتيجة لفشل تلك الحروب الصليبية الصاخبة في تحقيق أهدافها – التي تتلخص في السيطرة على العالم الإسلامي واستنزاف ثرواته- فقد استدار الاستعمار الغربي لتحقيق تلك الأغراض، بعد تطويرها بما يناسب ظروف العصر، وذلك باستحداث وسائل أخرى يأتي التبشير في مقدمتها، باعتباره غزوا صامتا يستطيع التسلل في الظلام، خلف الأقنعة والشعارات الزائفة.

ولما كانت خبرات الحياة – وخاصة في مجال الحرب- تبين أن بعض الوسائل اللازمة لتحقيق الهدف النهائي لصراع ما، قد تعتبر أهدافا مبدئية يلزم تحقيقها في المراحل الأولى من ذلك الصراع، **فقد عمد الاستعمار إلى جعل هدفه المبدئي والعاجل هو: هدم الإسلام في**

---

(١)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ص ١٢٩

قلوب المسلمين، وإضعاف تلك الصلة القوية المعروفة التي تربط المسلم بدينه. إن هذا هو ما أعلنه المبشرون جهارا نهارا، في تحد صارخ ومواجهة مستكبرة.

فمنذ نحو سبعين عاما، نشرت مجلة «العالم الإسلامي» الفرنسية عددا خاصا عن إرساليات التبشير البروتستانتية ونشاطاتها في العالم الإسلامي، وذلك تحت عنوان: الغارة على العالم الإسلامي. وفي تقديم لبحوث ذلك العدد، كتب رئيس تحريرها المستشرق الفرنسي لوشاتليه يقول:

«كنا منذ أمد بعيد نود أن نخوض في ذكر تفاصيل أعمال هذه **الإرساليات «البروتستانتية» التي اشتهرت بخطتها ووفرة الوسائل التي أعدتها وتوسلت بها لمقاومة دين الإسلام..** إن إرساليات التبشير الدينية التي لديها أموال جسيمة، وتدار أعمالها بتدبير وحكمة، تأتي بالنفع الكثير في البلاد الإسلامية من حيث إنها تبث الأفكار الأوروبية. إلا أن لإرساليات التبشير مطامع أخرى، كما تبين من الفقرة الآتية **التي** استخرجها من رسالة أرسلها إليَّ من جزيرة البحرين في ٢ أغسطس سنة ١٩١١ حضرة القسيس المحترم صموئيل زويمر، منشئ مجلة «العالم الإسلامي» الإنجليزية، وهو يبني فيها صروح آمال شامخة على أعمال المبشرين البروتستان، قال:

«**إن لنتيجة إرساليات التبشير في البلاد الإسلامية مزيتين: مزية تشييد، ومزية هدم. أو بالحرى مزيتي: تحليل وتركيب.** والأمر الذي لا مرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير – الذي أخذ يدخل على عقائد الإسلام ومبادئه الخلقية في البلاد العثمانية والقطر المصري وجهات أخرى – هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه. ولا ينبغي لنا أن نعتمد على إحصائيات في معرفة عدد الذين تنصروا رسميا من المسلمين، لأننا هنا واقفون على مجرى الأمور، ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الإسلامي من قلوبهم واعتنقوا النصرانية من طرف خفي؛ ولا شك في أن إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها، **ولا يتم لها ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب من اللغات الأوروبية.. فيتحكك الإسلام بصحف أوروبا، وتتمهد**

السبل لتقدم إسلامي مادي، وتقضي إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التي لم تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها.

أما ما يقوله حضرة مكاتبنا «زويمر» عن وجود مئات من المسلمين اعتنقوا النصرانية سرا وينتظرون فرصة للجهر بها، فذلك أمر لا يمكننا البت فيه..

فلنعتمد إذن على القول بأن سير العالم الإسلامي تدرج نحو انحلال أفكاره الدينية وزوالها، وذلك أمر طبيعي ممكن التحقيق..

ولكنا نعود فنقول: **إنه مهما اختلفت الآراء في نتائج أعمال المبشرين من حيث الشطر الثاني من خطتهم «وهو الهدم»، فإن نزع الاعتقادات الإسلامية ملازم دائما للمجهودات التي تبذل في سبيل التربية النصرانية.**

وإن التقسيم السياسي الذي طرأ على الإسلام سيمهد السبل لأعمال المدنية الأوروبية، إذ من المحقق أن الإسلام يضمحل من الوجهة السياسية. وسوف لا يمضي غير زمن قصير، حتى يكون الإسلام في حكم مدنية محاطة بالأسلاك الأوروبية..

إن إرساليات التبشير البروتستانية الإنجلوسكسونية تعلق أهمية كبرى على الحال الجديدة التي ظهر بها العالم الإسلامي. وقد رأينا أن نذكر معها إرساليات التبشير الألمانية لما عقد بينهما من الأواصر والروابط في مؤتمري سنة ١٩٠٦ وسنة ١٩١١، ولم يبق ارتباطهما مقتصرا، كسابق عهده، على تناوب كرسي الأسقفية البروتستانية في القدس. **وليس من المستغرب – ونحن (الكاثوليك) نبدي إعجابنا بأعمالها – أن نلح بمزاحمتها ومسابقتها، خصوصا وأن السيطرة على أهم الأسواق البشرية صارت متوقفة على هذه المزاحمة والمسابقة»**[1]

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي: ل. شاتليه – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي – المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة ص ٨-١٠

ولقد تزعم المبشر الأمريكي صموئيل زويمر الدعوة لعقد مؤتمر عام يجمع إرساليات التبشير البروتستانتية، للتفكير في أفضل الوسائل اللازمة لتنصير المسلمين. وقد استجابت الهيئات التبشيرية لدعوته، **فعقد مؤتمر القاهرة التبشيري سنة ١٩٠٦**، الذي افتتح يوم ٤ أبريل في منزل عرابي باشا في باب اللوق، وبلغ عدد مندوبي إرساليات التبشير ٦٢ بين رجال ونساء. وكان عدد مندوبي إرساليات التبشير الأمريكية وحدها ٢١ مندوبا. وكانت موضوعات المؤتمر هي: ملخص إحصائي عن عدد المسلمين في العالم – الإسلام في أفريقيا- الإسلام في السلطنة العثمانية - الإسلام في الهند- الإسلام في فارس- الإسلام في الملايو- الإسلام في الصين- النشرات التي ينبغي إذاعتها بين المسلمين المتنورين، والمسلمين العوام - التنصر- الارتداد - وسائل إسعاف المتنصرين المضطهدين- شئون نسائية إسلامية-تربية المبشرين والعلاقات بينهم- كيفية التعليم في الإسلام.

ولقد جمعت هذه الموضوعات في كتاب كبير، أصدره القس الأمريكي فلمنج، تحت عنوان: «**وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين**»، بعد أن كتب عليه عبارة: «نشرة خاصة، ليتداول بين فئة خاصة من رجال التبشير. ثم صنف زويمر كتابا آخر، جمع فيه بعض التقارير عن التبشير، وسماه: «**العالم الإسلامي اليوم**».

وقد استمرت إرساليات التبشير – ولا تزال- تنخر في جسم العالم الإسلامي سنوات طوال، إلى أن دعا زويمر إلى مؤتمر تبشيري آخر شهير عقد بالقدس عام ١٩٢٨. وفي هذا المؤتمر جمع زويمر خلاصة أعمال المبشرين في العالم الإسلامي؛ فقال مخاطبا الحاضرين: «أيها الأبطال والزملاء الذين كتب لهم **الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام**.. فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس.

لقد أديتم الرسالة التي نيطت بكم أحسن أداء، ووفقتم لها أسمى التوفيق، وإن كان يخيل إليَّ أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه، **لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية فيه**.

إنني أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين. لقد كانوا أحد ثلاثة:

١ـ إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام.

٢ـ أو رجل مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوت يومه، وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش.

٣- وآخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية.

ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية، ليست إدخال المسلمين في المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريما، **وإنما مهمكتم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها. وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية.**

وهذا ما قمتم به خلال هذا الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما أهنئكم عليه، وتهنئكم عليه المسيحية والمسيحيون جميعا.

لقد سيطرنا منذ ثلث القرن التاسع عشر على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، ونشرنا فيها مكامن التبشير، والكنائس، والجمعيات،والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية.

ولقد أعددتم في ديار الإسلام شبابا لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء طبقا لما أراده الاستعمار.. لا يهتم للعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا للشهوات..

إن مهمتكم قد تمت على أكمل الوجوه، وانتهيتم إلى خير النتائج، وباركتكم المسيحية، ورضى عنكم الاستعمار.. **فاستمروا، فقد أصبحتم بفضل جهادكم موضع بركات الرب»**[1]!!

أي رب هذا الذي يتكلم عنه ذلك المخرب – زويمر- وأشياعه من المبشرين، الذين جعلوا كل همهم قطع صلة المسلمين بالله، وإفساد أخلاقهم، وقتل شخصياتهم، وهو أشد وأنكى من قتل شخوصهم؟!!

هل هو الرب الذي تبرأ ممن تحدثوا باسمه وظنوا أنهم في خدمته، وصنعوا أعاجيب، ومع ذلك رفضهم لأنهم مخربون فاعلو آثام؟!

إن المسيح بريء من كل هذا التخريب الذي يحدث باسمه، والذي يذكر له الإنجيل قوله: «**ليس كل من يقول لي يارب يدخل ملكوت السموات**... كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يارب يارب، أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة. **فحينئذ أصرح لهم إني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم** – متى ٧: ٢١-٢٣».

أما الآن.. فقد استبانت الأهداف التي يعمل من أجلها التبشير في العالم الإسلامي، والتي يمكن تجميعها في عنصرين رئيسيين:

١ـ هدم الإسلام في قلوب المسلمين، وقطع صلتهم بالله، وجعلهم مسخا لا تعرف عوامل الحياة القوية التي لا تقوم إلا على العقيدة القويمة والأخلاق الفاضلة.

٢ـ إخضاع العالم الإسلامي لسيطرة الاستعمار والتحكم في مقدراته وإمكاناته.

ومن أجل تحقيق هذين الهدفين المتكاملين، يستخدم التبشير وسائل كثيرة، يطورها بين الحين والحين لتتناسب وروح العصر. وهو ما سوف نعرض له في الفصل التالي

---

(١) حقائق عن التبشير: عماد شرف – المختار الإسلامي- القاهرة ص ٣٣